

## دور المصريين في البحرية الإسلامية ، في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي ،

من خلال وثائق البريد العربي .

### عبد المنعم ماجد

لا شك أن التراث البريدي العربي وحده يرتبط بفترة العصور الوسطى ، التي ظهر فيها الإسلام ، إذا استمر قائماً بفرده ، بينما انقرضت أنواع البريدي الأخرى . ثم إذا ذكر البريد بقائمة ، فإن الخواطر تنتقل فوراً إلى مصر لأنها مهد صناعه ، حيث كان ورق البريد أداة الثقافة والمعرفة الأولى ؛ قبل ظهور صناعة الورق في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، وما يفتق ذلك على الإنسان المصري من جوهر ومضمون . فالتراث البريدي العربي هو بداية لهوية مصر العربية ، التي أثرت في حاضرها ومستقبلها .

كذلك البريد العربي للمورخ الإسلامي ليس أناراً ، بقدر ما هو محتوى له شأن بالحياة الإنسانية ، من منطلق حضاري واقتصادي ومجتمعي وتاريخي ؛ إذ يعتبر مصدراً وثائقياً هاماً . قبل أن يظهر ديوان الإنشاء والمراسلات في نظم الدولة الإسلامية ؛ حيث استعمل بكثرة منذ الفتح العربي لمصر ، ولمدة ثلاثة قرون هجرية على التوالي ، في وقت حكم الولاة فيها .

ومما يؤكد على صفة البريدي الوثائقية أنه في أول أمره كان لا بد أن يشتمل على ماسي :

البروتوكول ( Protocolle ) ، وهو عبارة عن عدة أسطر تُكتب بالخط في شكل مزخرف ، تتضمن التاريخ وختم الدولة والصليب ، وقد يذكر اسم المصنع أيضاً . ولكن بعد ذلك ، تصبى البروتوكول البيزنطي - أي اليوناني - إلى تركيبة عربية خالصة ، أطلق عليها : (الطران) ؛ لغنى الكتابة الوثائقية أيضاً ؛ حيث ظهرت في مصر في أول بردية عربية ، من عهد الوليد بن عبد الملك ، الخليفة الأموي ؛ لتشتمل على اسم الخليفة والوالي وآيات قرآنية ، وبالضرورة ترجمة قبطية للسلسلة والعقيدة الإسلامية ، مع إختصار محدود في الزخرفة ؛ كما نؤرخ بالتاريخين القبطي والهجري .

حقاً ، إن طبعة المعلومات المستمدة من البردية العربية ليست سرداً تاريخياً أو أنها مترابطة ؛ إلا أنها تُعتبر طازجة وأحياناً نادرة ؛ مما يربطها بالتركيبة التاريخية . كذلك العدد الأكبر من البريد العربي يوجد متفرقاً في أماكن عديدة ؛ حتى أنه من الصعب معرفة عدده ، وأنه لم يكشف أغلبه عن مضمونه بعد . ومع ذلك ، فإن ما حُقق منه على يد علماء البريد ، وفي مقدمتهم أدولف جروسمان

Adolf G. Ohmann (١) ، أو ما ذكر منه في الفهارس البردية ، مثل ما أورده عبد الهادي

شعيرة (٢) ، وغيره (٣) ، يعتبر في نيابة الأعمية في الدراسة التاريخية .

ثم خلال البردي العربي لمعرفة دور المصريين في البحرية الإسلامية في القرن الأول

الهجري / السابع الميلادي ، من السكن إستكشاف هذه النواهي :

أولاً : صناع التفتق ، ولدينا عنهم نصوص صريحة وكثيرة ، تعتبر أوامر من قبل الوالي إلى السبي

حكام الأقاليم في مصر ، بأن يجعلوا من قراهم " بالتعبئة (٤) " ، عناصر خيرة في صناعة

المراكيب (٥) البحرية بن " نجارين " و " حدادين " (٦) ، ويكون ذلك تحت إشراف

" أسطوات " (٧) ، وأن تصرف لهم " نفقات " (٨) من خزانة الدولة ، مما يدل على تحديد

أجور لهم .. وعلى تأكيد أن جلب بعضهم كان قسراً ، فتوجد بردية عربية فيها أنان (٩)

لأحدهم . يضاف إلى ذلك أن موارد مصر البحرية ، وضعت تحت تصرف الولاة العرب أيضاً .

ولدينا بردي عربي فيه ذكر لأموات ضرورية لبناء المراكب ، منها : الحديد لصناعة المسامير

والمسلاسل (١٠) والأخشاب (١١) حيث أعتبرت شجرة السنط واللبخ من أنسبها لبنائها .

(١) يعتبر جروعيان رائداً في العمل البردي العربي ، بسبب تفتيته لأكثر مجموعة من نصوصه

حتى الآن ، وله عشرة أسفار فيها ، بعنوان : Arabic Papyri in the Egyptian

Library. Cairo , 1934ssq .

وقد ترجمت أجزاءه إلى المجلد السادس .

(٢) بعنوان : La Documentation papyrologique arabe..Alexendrie, 1946.

(٣) مثل Bell Catalogue of papyri in the : Bell British Museum, IV, cf: Bell

Chefra : Op.Cit, p.61. (٤) أنظر .

(٥) أنظر . Bell: Op . Cit, IV, 1379; 1410.

(٦) أنظر . Aphrodito papyri. Der Islam, : Bell II, 1957. : Bell

(٧) بردية B.M.IV 1391 : أنظر .

Cheira: Op.Cit, p.45.

(٨) أنظر . Ibid, p.62.

(٩) أنظر . Ibid, p.45.

(١٠) بردية نشرها Bell ، فسمى : B.M.IV, 1369 : أنظر .

Ibid, b. 52.

(١١) الخطط ، ص ٢٠٤ .

والأولى لصناعة خشبها وبنائته ، والثانية لتميز ألواحها بطولها ، ولذلك كانت التسليطه تقسم على حراستها . كذلك لدينا بردية عربية مؤرخة بنى الحجة عام (١) ٩٠هـ/٧٠٩م ؛ تبين أن المهرة من المصريين في صناعة المراكب لا تقتصر خدمتهم على مصر وحدها ، وإنما أرسلوا إلى أحد الامبراطوريه العربيه في الشام (٢٦) وبقه وغيرهده ، بهم الذين يوا الأساطيل العربيه في أول ظهورها .

(٢) ومن ناحية أخرى ، تؤكد بردية عربية مؤرخة في ٢٨ طوبة سنة ٨١هـ ، أن أغلب هؤلاء الصناع كانوا من القبط ، فقد كان العرب في أول نشأة دولتهم أمة مدوية لا يعنى لها بشئون البصر ، لهم كما وصفهم وإلى مصر عمرو بن العاص : " كدود على عود (٤) " . ولا شك أن القبط الذين ساعدوا (٥) العرب في فتحهم لمصر ، كانوا أكثر من الأقباط الذين عارضوه (٦) ، وكانوا موالين لبيزنطة .

ثانياً : أماكن بناء السفن ، وسميت بدور الصناعة ، أو دزر صناعة البحر ، أو الصناعة فقط ، وهى فى ورق البردى العربى تُعتبر قواعد بحرياً أيضاً ، تزود السفن بالبحارة والمقاتلة ، وتُشحنها بالموّن (٧) . فكانت دور الصناعة تنتشر فى مصر فى موانئها وثغورها ، مثل (٨) : الإسكندرية ودمياط والقلمر "Kylsma" ، ولكن أشهرها ما كان يوجد منها فى بابليون " Babālyūn " .

الواقعة على النيل وكذلك نعلم من وثائق البردى العربى أنه كان أول الفتح العربى يوجد دائماً تمثيله بين بابليون والفسطاط ، فهذه كانت معسكراً للقبائل العربيه التى اختطت فيها ، بينما ما سقط هذا التمييز ، وأصبحت تسمية بابليون وما حولها هى الفسطاط وحدها ، وهى مصر القديمة فى وقتنا .

(١) بردية نشرها Becker ، فى : B.M.VI, 1410 . انظر

ibid, p.35.

ibid, p.57.

(٢) أنظر .

(٣) بردية فى : B.M. IV, 1991 . انظر

ibid, p.45.

(٤) الخطط ، ص ٣٠٨

(٥) الطبرى ، ص ٢٤١

(٦) أنظر . سيدة كاشف . مصر فى فجر الإسلام ، ١٩٤٧ ، ص ١٠ .

Cheira: Op.Cit, p.46.

(٧) أنظر

ibid , p.39; 46

(٨) أنظر .

؛ صفاء حافظ ، الموانئ والثغور ، القاهرة ؛ أنظر

وقد كانت بابلون في الأصل حصناً رومانياً قديماً بناه الإمبراطور تراجان "Traianus" عام ١٠٠ م ، ثم تحول إلى دار لصناعة السفن في عهد البيزنطيين . ويدل على ذلك أنه بعد أن استولى العرب على بابلون أقام القبط المتعاونون معهم جسراً (١) ضخماً ، لمنع السفن البيزنطية من الهرب إلى نقيوس ، في طريقها لاسكندرية . ومع ذلك ، بقيت تسمية بابلون لفترة طويلة ، حتى أن صلاح الدين سعى في وثائق الأوربيين باسم : صلاح الدين البابلوني : " Soldon di Babiloni " .

وتظهر أهمية بابلون كدار لصناعة السفن من أنه كانت تقع أمامها في وسط النيل جزيرة ، حصنها البيزنطيون لتزيد من قوة حصن بابلون ؛ حتى أنها عُرفت في بداية الفتح العربي باسم : بابلون (٢) أو جزيرة الصناعة ، وهي التي اشتهرت في وقت الفاطميين باسم : جزيرة الروضة (٣) ، التي ظلت داراً لصناعة السفن ، بحيث أصبحت التسمية الشائعة إلى عهد المماليك . قالنا : البحارة المصريون ، وكانوا في بحرية المسلمين منذ ظهورها ، التي كانت تسير بين الشرق والغرب ، وفي حماية سواحلهم ، أوفى حماية تنوآحل النيل ، حيث استقر في عهد محمد بن المنصور العبّاسي عن أسطول مصر (٤) فعلى حسب نصوص بردية عربية ، فإن البحارة المصريين كانوا عماد الأساطيل العربية ، وانطلقوا مع المقاتلة ، العرب في فتوحاتهم ، وفي حملات الشواطئ (٥) ضد البيزنطيين . توجد في بردية عربية مؤرخة في ٤ أمشير (٦) ، أي ما بين يناير وفبراير عام ٧١٠ م ، يطلب فيها الوالي في مصر من أحد الحكام "Pagarque" ؛ أن يذكر له عدد البحارة الذين رجعوا من الحملة الأفريقية بقيادة الأمير موسى بن نصير ، حيث كانت القيادة البحرية لعطاء بن رافع .

(١) أنظر . Chronique de Jean Evêque. Paris, 1889, p. 440.

(٢) أنظر . Cheira: Op. Cit, p. 35. (B.M, IV, 1410 بردية في

(٣) الخطط ، ٢٨٩ ص .

(٤) أنظر . Cheira : Op. Cit, p. 60

(٥) بردية نشرها Bell ، وتوجد في B.M. IV, 1349 ! أنظر 44-45 bid, p. 44-45

(٦) بردية في B.M. 135 (94) IV, 13050 ، أنظر . Ibid, P. 64.

وبإجالية ، فالتحقيق العلمى للبردية العربية بعرفه مضمونها ، على الرغم من  
 الصعوبات الجمة ؛ يجعل الحياة تدب فى الأثر، وتنطلق من عقالها ، ليصبح  
 الصامت ناطقاً .

